ترجمة مقال: سيميائيات الأيديولوجيا لوينفريد نوث

Translation of Article: Semiotics of Ideology - Winfried Nöth*

بوبكر فضيل[1]

Boubaker FODIL[1]

[1] جامعة البليدة 2، (الجزائر)، aboubaker846@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/02 **تاريخ القبول**: 2022/10/13 **تاريخ النشر**: 2022/12/24

ملخص:

هذه ترجمة لمقال للباحث (وينفرد نوث)تطرق فيه إلى علاقة السيميائيات كعلم لأنساق العلامات ضمن إطار الأيديولوجيا بوصفها نظاما للأفكار، وقد تم التركيز في هذا المقال على الجدل الدائر حول هذا المصطلح وجذوره التاريخية وتضارب الرؤى إزاءه تبعا لاختلاف المدارس الفكرية وتوجهات المفكرين،معرجا على إشكالية تطبيق الإجراء السيميائي في دراسة النسق الأيديولوجي الكامن في الخطاب.

كلمات مفتاحية: السيميائيات، الأيديولوجيا، الخطاب، العلامات، الدلالة.

Abstract:

This is a translation of an article by the researcher, Winfried Nöth, in which he touched upon the relationship of semiotics as a science to the structures of signs within the framework of ideology as a system of ideas. The application of the semiotic procedure in the study of the ideological pattern underlies the discourse.

Keywords: Semiotics; Ideology; Discourse; Signs; Semantics.

المؤلف المرسِل: بوبكر فضيل، **الإيميل**: aboubaker846@gmail.com

* Nöth, W. (2004). Semiotics of ideology. *Semiotica, 148* (1/4), pp.11-21

1. مقدمة:

تعد السيميائيات ميدانا خصبا لاشتغال نظريات وتطبيقات عديدة،وقد استطاع أن يشد إليه الانتباه حديثا ، وإن كان فردينان دوسوسير ومن سار على نهجه قد اعتمدوا اللغة اللسانية لوصف الجهاز العلاماتي فإن آخرين من أمثال بيرس اتجهوا لتأسيس نظرية عامة للعلامات بخلفية براغماتية منطقية،و بناء عليه انبثقت مدارس سيميائية كالتواصلية، والدلالية، والثقافية، وانبرى عدد من الباحثين للدراسة التطبيقية في ميادين مختلفة، فصرنا أمام تشعّبات تخصصية جديدة تقتحم السينما والمسرح والإشهار و الموضة، وغير ذلك.

وفي هذا المقال يتطرق كاتبه إلى سيميائيات الأيديولوجيا، ضمن تصور مثير لجدلية العلاقة بين المجالين، وإشكالية تطبيق النظرية السيميائية في الكشف عن النسق الأيديولوجي في الخطابات، واختلاف الرؤى بين الباحثين في هذا الصدد.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور عبد القادر فهيم شيباني الذي تفضّل بتقديم مراجعة لبعض محاور النص المترجم.

2. صاحب المقال:

وينفريد نوث Winfried Nöth (مواليد 1944) أستاذ اللسانيات والسيميائيات ومدير المركز متعدد التخصصات للدراسات الثقافية بجامعة كاسل، وأستاذ زائر في الجامعة الكاثوليكية في ساو باولو (PUC)، وعضو فخري في الرابطة الدولية للسيميائيات البصرية. ورئيس الجمعية الألمانية للدراسات السيميائية (noeth@uni-kassel.de). كتب عددا كبيرا من المؤلفات في السيميائيات النظرية والتطبيقية. تتناول مقالاته البالغ عددها 160، وأحد عشر كتابا، وخمسة كتب محرّرة موضوعات تتعلق بالجوانب السيميائية لعلم الجمال، واللسانيات، الأدب والثقافة، والإعلام، والإشهار،والخرائط،والصورة (مع Lucia Santaella)، وتطور السميوزيس،ونظرية الأنظمة.له كتيب في السيميائيات(1990)حاز على جائزة الكتاب الأكاديمي المتميز والمختار في عام 1992. أهم الكتب التي حرّرها نوث (Nöth) هي أصول السيميوزيس (1994)، سيميائية وسائط الإعلام (1997)، نظرية الإعلام والوسائط الرقمية مع (K. Wenz,1998)، سيميائية الطبيعة (مع: K. Kull, 2001)، وأزمة التمثيل (عدد خاص من سيميوتيكا، مع: C. Ljungberg, 2003) (Winfried Nöth, 2004, p. 21).

3. تقديم المقال المترجم:

هذا المقال الموسوم بـ: "Semiotics of ideology" لمؤلفه الأكاديمي الألماني وينفريد نوث، المتخصّص في حقل السيميائيات، و هو أحد منجزاته الكثيرة في هذا المجال، نشر المقال عام 2004 في مجلة سيميوتيكا الألمانية، وفيه يعقد صلة بين السيميائيات و الأيديولوجيا، فاسحا المجال لتوظيف الأدوات السيميائية في الكشف عن الأنساق الأيديولوجية في الخطاب، وأشكال تجليها في النظم التواصلية المختلفة.

4. أسباب اختيار هذا المقال، أهميته وأهداف ترجمته:

من بين أسباب اختيار هذا المقال هو اهتمامي الأكاديمي بمجال تحليل الخطاب بمقارباته المختلفة ومن بينها المقاربة السيميائية التي أضحت لها أهمية بالغة في ميادين متعددة.

إن السيميائيات كما هو معروف موضوعها العلامات بمختلف أنماطها و مصادرها و تجلياتها، الأمر الذي وهبها مساحة اشتغال واسعة تتنازعها مجالات علمية مختلفة، وبما أن الخطاب علامة سيميائية حاضرة أينما حضر الإنسان باعتباره كائنا تواصليا، فكان من الطبيعي أن تحفل به المقاربة السيميائية وتعمد إلى تفكيك أنساقه المتعددة، ومن بينها النسق الأيديولوجي باعتباره أبرز هذه الأنساق و أخطرها، ولأنه وثيق الصلة بالأبعاد الأنثروبولوجية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ويبدو أن صاحب المقال أراد لفت الانتباه إلى ضرورة استثمار المقاربة السيميائية في الكشف عن هذا النسق، وبالتالي توسيع مجال اشتغال المقاربة السيميائية.

تهدف ترجمة هذا المقال إلى تقديمه إلى القارئ العربي لما ينطوي عليه من رؤية نقدية في حقل السيميائيات و محاولة للدفع به نحو أفق دراسة الأيديولوجيا، بمنظورات تختلف عن تلك التي سادت في الحقل النقدي و التي تراوح بين الدراسة الاجتماعية والماركسية.

5.منهجية الترجمة:

من المعلوم أن الترجمة التخصصية إجراء يتصف بالدقة ويشترط في تحقيقه الأخذ بعين الاعتبار نظام اللغة المترجم إليها، وتجاوز فخ الوقوع في معضلة الترجمة الحرفية، التي تشوّه معنى النص الأصلي ولا تفي بقيمته المعرفية، لذلك عمدت ما أمكنني إلى تطويع النص ليستقيم مع نظام الجملة في العربية، والحفاظ على المعنى الأصلي للنص، وقد ساعدني مشكورا في هذه العملية الدكتور عبد القادر شيباني، على أنني لست بالمترجم المتخصص و إنما هي محاولة متواضعة لترجمة مقال ينتمي إلى حقل معرفي ينطوي على مصطلحات علمية من الصعب بمكان إيجاد مقابل لها في اللغة العربية، وهي من المشكلات التي اعترضتني في ترجمة هذا المقال.

من بين التقنيات المستخدمة في هذه الترجمة التحويل (The transposition)، والتعديل (The modulation)، وهو إجراء يأخذ بعين الاعتبار الاختلاف بين نظامي اللغتين الانجليزية والعربية، وبالتالي لجأت إلى إحداث تعديلات نحوية و استخدام تعابير تكون متوافقة مع النظام النحوي والدلالي للعربية،مثل تقديم الفعل على الفاعل، وهذا في بداية الجمل، و اختيار لفظة حمولة –مثلا– في عبارة "أقل حمولة سياسية" لترجمة عبارة less politically colored، وهذا عوض لفظة تلوين أو ملونة.

من بين الصعوبات عدم إيجاد مقابل لتركيب pansemiotic، في عديد من المراجع العربية التي اختصت بمجال السيميائيات، لذلك عمدت إلى البحث عن مقابل مناسب لهذا التركيب من خلال التركيز على دلالة لفظ pan

واستخداماته في اللغة الانجليزية، ووقفت على استخدامه كمقطع بدئي ليعطي دلالة العموم والشمولية[1]، وبالنظر إلى محتوى نظرية باختين، فضلت أن تكون ترجمة هذا التركيب بالسيمائية الشاملة.

6. المراجع المستعان بها في الترجمة:

بما أن المقال كما ذكرت آنفا يندرج ضمن حقل السيميائيات، فكان من الضروري الاستعانة بأحد المتخصصين في هذا المجال، وأخص بالذكر –هنا– الدكتور عبد القادر شيباني، الذي تفضل بتقديم مراجعة لبعض محتوى المقال، ومساعدتي في نقل بعض المصطلحات العلمية إلى العربية بحكم تخصصه.

كما لجأت إلى أهم كتبه في هذا الخصوص: والموسوم بـ: "السيميائيات العامة:أسسها ومفاهيمها"، للتوسع أكثر في هذا المجال وفهم موضوعه ومدارسه المختلفة.

7. نص الترجمة:

إذا كانت "الأيديولوجيا"، بمعناها الواسع، هي"نظام من الأفكار"، فإن السيميائيات، وهي دراسة أنساق العلامات، معدّة مسبقا لتقديم مساهمات أساسية في دراسة الأيديولوجيات.

إن المقاربة السيميائية لدراسة الأيديولوجيا تبدأ بالتحقيق في المفهوم نفسه، والذي شهد تحوّلا كبيرا في مسار تاريخه. لقد درست السيميائيات النظرية علامات الأيديولوجيات والأيديولوجيات كأنساق علامات، ولقد طوّرت السيميائيات التطبيقية أدوات نقدية للكشف عن الأسس الأيديولوجية للخطاب الإعلامي،لكن السيميائات النقدية لم تكن لتعنى بنقد خطاب "الآخر" فحسب؛ لقد ذهبت بعيدا إلى حدّ إثارة سؤال النقد الذاتي عما إذا كان خطابها نفسه يستند إلى أسس أيديولوجية.

الجذور السيميائية للأيديولوجيا:

لقد تغيّر مفهوم الأيديولوجيا عبر تاريخها وظلّ حتى يومنا هذا مثيرا للجدل. تاريخيا،استخدمت"الأيديولوجيا" لأول مرة للدلالة على أفكار مجموعة معينة من الباحثين في فرنسا. أما اليوم ،فيقع المصطلح بين قيمة حيادية ومفهوم وصفي فقط، وبين معنى سجالي أو حتى ازدرائي.للاطلاع على نظرية ومفهوم الأيديولوجيا ، انظر:

(Plamenatz 1970) ,(Dierse and Romberg 1976), (Thompson 1990) (Choe 1997), (Eagleton 1991)

تم استخدام مصطلح "أيديولوجيا" لأول مرة في عام 1796 من قبل أنطوان لويس كلود ديستوت دي تريسي (Antoine Louis Claude Destutt de Tracy) (1754-1836) لتحديد "علم الأفكار" التجريبي

[1] *Pan-* is a combining form used like a prefix meaning “all.” It is often used in a variety of scientific and technical terms, particularly in pathology, see: www.dictionary.com/browse/pan-

الجديد.طوّر دي تريسي أساسيات هذه النظرية الجديدة في كتابه (d'idéologie(1805-1815,5 vols Eléments جنبا إلى جنب مع:

E.B. de codillac, P.J.G.Cabanis ,A.Helvétius

انتسب ديستوت دي تريسي لمجموعة من الفلاسفة الذين يدعون أيضا بالأيديولوجيين (idéologues).

وقد كان لهؤلاء الفلاسفة توجه حسّي ومعارض للعقلانية الديكارتية.فيما أراد الأيديولوجيون تعريف العمليات المعرفية ضمن إطار الأنشطة الحسية، ومن ثم اعتبروا دراستهم للأفكار كفرع من علم الأحياء.

وقد كان الهدف البرنامجي لهذه "الأيديولوجية" الأولية هو دراسة "أصول الأفكار"، والتي يجب أن تكون خالية من التحيّزات الميتافيزيقية والدينية. كان البرنامج السياسي للأيديولوجيين ديمقراطيا ومتوافقا مع قيم عصر التنوير. لذلك ، سرعان ما وقع في تعارض مع سياسة نابليون، الذي هاجم هؤلاء الفلاسفة وسخر منهم باعتبارهم حالمين و أنهم في غمرة أحلام يقظة. بسبب هذا التوصيف السلبي للأيديولوجيين، بدأ مفهوم الأيديولوجيا يكتسب دلالة سلبية أو حتى ازدرائية باقية إلى يومنا هذا.

للاطلاع على سيميائيات الأيديولوجيين الفرنسيين انظر:

Rastie(1972), Busse and Trabant(eds.1986), Schlieben-Lange et al.(eds.1989-1994), Bernecker(1996), and Draxler(1996).

بدون أي إيحاءات إيجابية أو سلبية، جرى تعريف الأيديولوجيا بمعنى وصفي بحت وليس بالضرورة بحسّ نقدي مثل أي نظام من القواعد و القيم و المعتقدات،أو رؤيا للعالم توجّه المواقف الاجتماعية والسياسية وأفعال مجموعة أو طبقة اجتماعية أو مجتمع ككل. بهذه القيمة الحيادية لمفهوم الأيديولوجيا، يسمي غيرتز (Geertz) 1973 الأيديولوجيا بـ "النظام الثقافي"، ويعرّف بارسونز (Parsons) (1951, p. 349) الأيديولوجيا على أنها "نظام من المعتقدات المشتركة بين أعضاء الجماعة...، نظام أفكار موجّه نحو التكامل القيمي للجماعة".هذا المفهوم ذو القيمة المحايدة للأيديولوجيا ، والذي يشتمل على كل من الصواب والخطأ ولكن أيضا أنظمة أفكار ليست صائبة ولا خاطئة ، غالبا ما يرتبط بالآراء المحافظة أو الليبرالية للأنظمة الاجتماعية. ومع ذلك ، حتى لينين نفسه كان يستخدم مصطلحا محايدا من حيث القيمة عندما يتحدث عن "الأيديولوجيات الاشتراكية". (راجع: Dierse & Romberg, 1976, p. 178)

لقد جرى تناول المعنى الازدرائي للأيديولوجيا، الذي عبّر عنه نابليون لأول مرة، واستعادته فلسفيا من قبل ماركس و إنجلز. حين اعتبرا أن الأيديولوجيات هي أنظمة لأفكار خاطئة تمثّل وعي الطبقة الحاكمة وتستخدم لتعزيز وإضفاء الشرعية على سلطتها. إنها أفكار خاطئة لأنها تعزّز مصلحة طبقة معينة بينما تتظاهر بأنها في مصلحة المجتمع ككل. بهذا المعنى ، ينظر إلى الأيديولوجيا على أنها أداة للخداع والتلاعب. ترتبط أحيانا بالأسطورة ومناقضة للعلم والحقيقة. ومع ذلك، فإن أولئك الذين يتبنون وجهة النظر النقدية هذه للأيديولوجيا ، رفضوا دائما

اعتبار نظام أفكارهم أيديولوجيا. فبالنسبة لهم ،الأيديولوجيا هي فكر الآخرين أو حتى فكر العدو كما قرّر رايمون آرون(Raymond Aron). (راجع: Reis, 1993, p.7).

بينما يعد نظام الأفكار خاصتهم علميا، ومن ثم فهو بعيد عن أي شبهات.

بعض السيميائيين أيضا يصفون الأيديولوجيا بطريقة محايدة القيمة مثل أي نظام علامة ثقافي أو اجتماعي ، بينما يصف آخرون الأيديولوجيا نقديا كنظام خفي للمعنى في الرسائل العامة التي تتطلب تحليلا نقديا.بالنسبة للمقاربات السيميائية للأيديولوجيا لم تناقش في المؤلفات الآتية:

انظر:

Nattiez(1973), Carontini and Péraya (1975,133-173), Coward and Ellis(1977), Zima (ed.1977.1981), Larrain(1980), Santaella(1996), Heim(1983), Nicholson(1986), Halsall and Rutland(eds.1988), Zima(1989)

بالإضافة إلى العدد الخاص من مجلة: بحوث سيميائية/تحقيق سيميائي

Recherches sémiotiques/Semiotic Inquiry. (1991). 11. 2- 3

تركّز المقاربات السيميائية التي تتبنى وجهة نظر القيم المحايدة للأيديولوجيا على طبيعة العلامة الأيديولوجية وتصف إلى أي مدى تعتبر الأيديولوجيات أنظمة سيميائية. ولعل من بين هذه المقاربات الكلاسيكية نجد حلقة باختين (Gardiner, 1992).

رؤية باختين السيميائية الشاملة للأيديولوجيا:

إن مفهوم الأيديولوجيا في كتابات حلقة باختين يكاد يكون شموليا. فوفقا لباختين وميدفيدف، فإن "فروع الإبداع الأيديولوجي [هي] العلم والفن والأخلاق والدين، إلخ (1928, p. 3). كما يشير موريس إلى أن هذا المفهوم الواسع للأيديولوجيا ليس فقط سمة من سمات كتابات باختين فحسب ، بل للغة الروسية بشكل عام "أيديولوجيا–ideologiya" اللغة الروسية أقل حمولة سياسية من الكلمة الإنجليزية "أيديولوجيا–ideology"... إنه ليس بالضرورة نظام معتقد سياسي يتمسك به بوعي ؛ بدلا من ذلك ، يمكن أن تشير بمعنى أكثر عمومية إلى الطريقة التي ينظر بها أفراد طبقة اجتماعية إلى العالم" (1994, p. 245).

إن الأيديولوجيا، كما حدّدها باختين وميدفيديف، هي شبه مرادف لكلمة "ثقافة"، وهي تشمل في تعريفهم "كل نتاج الإبداع الإيديولوجي - الأعمال الفنية والأعمال العلمية والرموز الدينية والطقوس، إلخ - باعتبارها أشياء مادية ، وهي جزء من الواقع الفعلي الذي يحيط بالإنسان (1928, p. 7) في المقابل فإن دراسة الأيديولوجيات بهذه المفهوم الشامل، يمتد ليشمل دراسة العلامات وأنظمة الإشارة: "لا يوجد معنى خارج التواصل الاجتماعي للفهم...ذلك أن التواصل الاجتماعي هو الوسط الذي تكتسب فيه الظاهرة الأيديولوجية أولا وجودها المحدّد، ومعناها الأيديولوجي ، وطبيعتها السيميائية" (1928, p. 9-8).

يعبّر فولوشينوف (Voloshinov) بوضوح عن هذه النظرة الشاملة للأيديولوجيا، حيث يقول أن : "كل شيء أيديولوجي يستند إلى معنى: فهو يمثّل أو يصوّر أو يرمز إلى شيء يقع خارج نفسه. بمعنى آخر، هو علامة. بدون علامات، لا توجد أيديولوجيا" (1930, p. 9). والعكس صحيح، يخلص فولوشينوف أيضا إلى أن جميع العلامات مشبعة بالأيديولوجيا وأن الأيديولوجيا هي بالتالي أصل السميوزيس:

العلامة لا توجد ببساطة كجزء من الواقع - إنها تعكس حقيقة أخرى بل وتشوّهها. لذلك، قد يشوّه ذلك الواقع أو يكون صادقا معه، أو قد يدركه من وجهة نظر خاصة، وهكذا دواليك. تخضع كل علامة لمعايير التقييم الأيديولوجي (فيما إذا كانت صائبة، أو خاطئة، أو صحيحة، أو عادلة، أو جيّدة، وما إلى ذلك). بل إن مجال الأيديولوجيا يكاد يتطابق مع مجال العلامات. إنهما متماثلان.

أينما توجد علامة، فإن الأيديولوجيا موجودة أيضا. وبناء على ذلك فإن كل شيء أيديولوجي يمتلك قيمة سيميائية (Voloshinov, 1930, p. 10).

على الرغم من شمولية الأيديولوجيا ، يجب ألا ينظر إلى الخطاب على أنه مظهر من مظاهر التوحيد الأيديولوجي. إن فكرة الأيديولوجيا كقوة معيارية لا تتوافق مع نظرية باختين للحوارات والانفتاح النصي ("اللانهائية التعرّفية")[2]. بدلا من أن تكون موحّدة أيديولوجيا، فإن النصوص متعددة الأصوات. حيث إن تعدد الأصوات النصية ليس سوى نتيجة تعدد الأصوات "غير المتجانسة"، مما يخلق تعددا في المعاني الممكنة. فبدلا من أن تكون النصوص متجانسة، فإنها تدل على "خطاب مزدوج الصوت" [على الأقل] "صوتان ومعنيان وتعبيران" (Bakhtin [1937-1938] 1981, pp. 301-324).

طبيعة العلامة الأيديولوجية والأيديولوجيم:

إذا كانت حلقة باختين تفترض الحضور الشامل للأيديولوجيا في العلامات،فإن معظم السيميائيين الآخرين يميلون إلى ضرورة التمييز بين الخطاب الأيديولوجي والخطاب غير الأيديولوجي. الأدوات السيميائية في تحليل الخطاب الأيديولوجي ضمن هذا التصور كانت مفاهيما مثل الدلالة الضمنية (أنظر أدناه)،والرمز،والقيمة السيميائية، والمعيار.وفقا لنادين (Nadin) (1981, p. 237)، على سبيل المثال، الأيديولوجيا هي "تمثيل متزامن (فكروسكوبيا بيرس) ومعيار للعالم"، ولها "طابع رمزي في الغالب" (1981, p. 237).

على النقيض من ذلك، يؤكد بونزيو (Ponzio) (1993, pp. 61-62) على الجوانب الإشارية والأيقونية للأيديولوجيات. يعود السبب الأول إلى عدم مباشرة أي خطاب إيديولوجي، في حين أن الثاني ناتج عن سمة التشابه المتأصلة في التوافق الإيديولوجي وتكرار المعطى الأيديولوجي. يفسر مارتي (Marty, 1990, p. 344)،

[2] اللّانهائية التعرّفية ترجمة لمصطلح:unfinalzability، وهو ضمن التنظير الباختيني للخطاب الروائي، ونقصد بها "عدم إمكانية بلوغ المعرفة الكاملة عن دواخل وبواطن الأشخاص، وأنه مهما عرفنا الشخص فإن هناك دوما جانب خفي عنا" ينظر" أنور غني الموسوي، التعبير الأدبي: مقالات في نظرية الأدب، ج1، دار أقواس، العراق، د.ط، 2020، ص277.

بمنظور مختلف، سمة التوحيد الأيديولوجي نفسها على أساس سيميائيات بيرس مثل تأثير تشريعات العلامات الأيديولوجية، التي تميل إلى تحديد العلامات المتفرّدة.

يعتبر جانب التقييم مركزيا في تعريف رايس (Reis, 1993, p. 31) للعلامة الأيديولوجية على أنها علامة ذات معنى قيمي. علم القيم هو أيضا المصطلح الرئيس في نظرية سيميائية الأيديولوجيا لغريماس وكورتيس (1979, p. 149)، والتي وفقا للمعاني الأيديولوجية هي عوامل نصية تظهر قيما لنظام قيمي بنيوي عميق.

لطالما كانت مسألة الوحدة السيميائية الأدنى للخطاب الأيديولوجي مصدر انشغال للدراسات المبكرة التي أجراها باختين وميدفيديف وكريستيفا، الذين يتفقون على أن وحدة تحليل الخطاب هذه ينبغي تعريفها على أنها "أيديولوجيم"[3]. في الرؤية السيميائية الشاملة لحلقة باختين ،الأيديولوجيم هو عمليا أي علامة في التواصل البشري. لأنه "عنصر لا ينفصل عن الأفق الأيديولوجي الموحّد للفئة الاجتماعية" (باختين وميدفيديف، 1928، صفحة 21)، "كل كلمة تخون أيديولوجية متحدّثها... فكل متحدّث إذن هو أيديولوجي وكل كلام هو أيديولوجيم (باختين، [1937-1938] 1981، صفحة 429).

في التحليل الدلالي لكريستيفا (1969، الصفحات 113-114)، الأيديولوجيم هو وظيفة بين نصية.إنه يعمل على "إعادة بناء منظومة نصية قائمة (لممارسة سيميائية) وطروحاتها (تسلسلاتها)[4]، واستيعابها داخل حدودها". الأيديولوجيم "يتطور عبر عملية قراءة النص... ويوفّر إحداثياته الاجتماعية والتاريخية". الأيديولوجيم، في هذا التعريف، ليست وحدة من بنية النص ولكنها تتجلى في النص ككل: "الأيديولوجيم النصي هو النقطة المحورية بحيث يظهر فيها تحوّل الطروحات (التي لا يمكن اختزال النص فيها) على أنها مجملة (كنص)" (Kristeva, 1969, pp. 113-114).

بهذه السمات، تصبح الدراسة السيميائية للأيديولوجيا مسألة دراسة نظام سيميائي وليس عناصره. التعريف السيميائي وفق هذه التحديدات هو الذي وضعه ألتوسير (Althusser) (1975, p. 28). بالنسبة له، الأيديولوجيا هي "نظام" ... من التمثيلات (الصور أو الأساطير أو الأفكار أو المفاهيم) الموجودة في مجتمع معين والتي تؤدي دورا تاريخيا علاوة على ذلك، تنتمي الأيديولوجيا إلى لاوعي المجتمع، وبالتالي فهي مثل نظام اللغة (اللسان) ،لا يدخل وعي المتكلم في عملية التحدث(الكلام) (Schiwy, 1969, p. 76).

---

[3] فضلت التعريب لنقل هذا المصطلح (Idèologème) إلى العربية لارتباطه بمصطلح الأيديولوجيا، وكثير من الباحثين في الحقل السيميائي والنقدي يستعملونه معرّبا، ويمكن أن نقترح ترجمته إلى دالة أيديولوجية باعتبار أن كريستيفا استعانت بالمفاهيم الرياضية لبلورة نظريتها.

[4] ترجمة لمصطلح: Sequences، ويترجمها الباحث السيميائي رشيد بن مالك بالمقطوعة مفرد مقطوعات، يقول: "يستحب أن نخصّص مصطلح المقطوعة في السيميائية السردية للدلالة على الوحدة النصية التي تصدر عن التقطيع"، ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2000، ص189.

فضلت ترجمته بالتسلسل أو التتابع لأنه الأقرب لمدلوله في الاصطلاح الإنجليزي، حيث إن النص عامة يستند على التسلسل المنطقي في عرض الأفكار وتتابعها، وبالتالي ينتج عن هذا مقطوعات مترابطة.

يتبع فيرون (Véron) (1978, p. 15) أيضا التناظر بين الأيديولوجيا ونظام اللغة. الأيديولوجيا مثل اللغة،حيث يتجلى الكلام في خطاب أيديولوجي. ومن ثم ، فهو ليس "ذخيرة من المحتويات بل هو قواعد للمعنى" أو "نظام القواعد الدلالية لتوليد الرسائل" (Verón, 1971, p. 68).

الكشف السيميائي للخطاب الأيديولوجي:

من بين مقاربات نقد الخطاب للأيديولوجيا ، يركّز البعض على دلالات الرسائل الفردية التي يحاولون فيها الكشف عن آثار الأيديولوجيا في بنية الطبقات الثانوية للمعنى ، بينما يهتم البعض الآخر بخصائص الأيديولوجيات كرموز.

إن السيميائيين الذين يعتبرون الأيديولوجيا كرسالة ثانوية قد تعلقوا بأمل أنه من خلال اكتشاف و دراسة مثل هذه الطبقات الثانوية من المعنى الأيديولوجي ، قد يكون من الممكن الكشف عن مستوى أوّلي من المعنى النصّي خال من أي تحيّز أيديولوجي. إن الأداة الكلاسيكية للسيميائيين الذين يقاربون دراسة الأيديولوجيا بهذه الطريقة هي ثنائية هيلمسليف (Hjelmsle) بين الدلالة الأولية مقابل الدلالة الإيحائية(الضمنية)[5].

(راجع: Reboul, 1980, pp. 136-140 ; Kerbrat Orecchioni, 1977, pp. 208-233).

أصبحت نظرية الأيديولوجيا كدلالة نصية ضمنية شائعة مع دراسات رولان بارت النقدية المبكّرة لوسائل الإعلام.يعرّف بارت الأيديولوجيا كنظام سيميائي ثانوي يضيف دلالات ضمنية إلى رسالة ذات دلالة أوّلية. إن "المجال المشترك لمدلولات الدلالة الضمنية هو مجال الأيديولوجيا التي لا يمكن إلا أن تكون واحدة بالنسبة لمجتمع وتاريخ معينين ، بغض النظر عن دوال الدلالة الضمنية التي قد يستخدمها" (Barthes, 1964, p. 49). الدلالات الضمنية الأيديولوجية مخفية وتسعى إلى أن تظل مخفية حتى تصبح غير قابلة للنقد. تهدف الدلالات الضمنية الأيديولوجية المخفية في وسائل الإعلام إلى جعل البنى الاجتماعية تبدو طبيعية و حتمية لإخفاء تعسّفها و تقليديتها.

يدرس ريبول (Reboul) (1980, pp. 57-59)، ملهما من بارت، الأيديولوجيا على أساس التمييز بين الدلالة الأولية على أنها "ما نتحدّث عنه" والدلالة الضمنية على أنها "المعنى المعطى له". وبشكل أكثر تحديدا، فهو يعرّف الأيديولوجيا على أنها نوع من التعزيز، لأن الخطاب الأيديولوجي يخلق دلالاته الخاصة من خلال وضع مفاهيم أو كلمات للمواضيع دون الاعتراف بأن المواضيع المرجعية هي في الحقيقة ثقافة محددة ، وبالتالي فهي ليست "موضوعية "، بل هي نسبية.

في الأيديولوجيات، تبدو الوظيفة المرجعية للخطاب مهيمنة ، بينما يتم إخفاء كل آثار الوظيفة التعبيرية وظروف الكلام (Reboul, 1980, p. 53) .

---

[5] الدلالة الإيحائية ترجمة لمصطلح Connotation، وهي ترجمة الدكتور رشيد بن مالك، حيث يعرفّها بأنها "ما يحفّ بالكلمة من معان ثانية أو ثانوية لا توجد في المعنى الأول المبدئي للكلمة"، ينظر رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص41.
يمكن أن تترجم إلى دلالة ضمنية أو ثانوية.

تم إعادة تفسير فكرة التمويه المتأصلة في هذا الخط الفكري في فئات من البنيوية السيميائية بواسطة بريتو (Prieto) (1975, pp. 143-165).

تستند مقاربة بريتو على المبدأ البنيوي للملاءمة ، والذي بموجبه لا يمكن أبدا التعرّف على جوهر البنية في حدّ ذاته ، ولكن فقط بقدر ما يوجد اختلاف في علاقة ببعض البنى الأخرى: "الطريقة التي تدرك بها ذات ما موضوعا ماديا...يفترض طريقة معينة لإدراك موضوع آخر مشتق من كون آخر للخطاب" (Prieto, 1975, p. 147). وفقاً لهذا المبدأ البنيوي، يجادل بريتو بأن المعرفة الموضوعية في العلوم الإنسانية تتطلب الإحالة إلى التاريخية ، والتقليدية ، واعتباطية المعرفة ، وهي إحالة يجب أن تكشف دائما عن البدائل الممكنة لأي حالة سيميائية لقضية ما. على النقيض من مناهج التحليل التي تهدف إلى الكشف ليس فقط عن البنى ولكن أيضا عن بدائلها البنيوية ، تحاول الأيديولوجيات "تطبيع" المعرفة الاجتماعية والثقافية للواقع المادي من خلال جعل هذه المعرفة تظهر كنتيجة ضرورية للموضوع المعني. (راجع: Prieto, 1975, p. 160).

بهذه الطريقة ، تخفي الأيديولوجيا أسسها السيميائية.

واجهت نظرية الدلالة الضمنية للأيديولوجيا أزمة عندما توصّل بارت نفسه، في سبعينيات القرن الماضي، إلى استنتاج مفاده أن التمييز بين معنى ضمني وأيديولوجي، ومعنى أولي خال من الأيديولوجيا هو بالأحرى إشكالية. في النهاية ،تخلّى بارت عن فكرة "مستوى الصفر" الخالي من الأيديولوجيا في النص ومعها نظرية الدلالة الضمنية للأيديولوجيا. يتضح أن مبدأ الدلالة الضمنية عانى من الإفراط في العمومية عندما يدرك المرء أنه وظّف أيضا – بشكل عشوائي–كأداة في دراسة بارت للأسطورة (راجع: Silverman, 1983, p. 30). ومع ذلك، فقد اقترح لارين (Larrain) (1980, pp. 145-150) تمايزا ممكنا، ولكن–أيضا–تطابقا أبعد بين الأيديولوجيا والأسطورة بالإشارة إلى نظرية الأسطورة لليفي شتراوس: "يقع الاختلاف في حقيقة أن الأيديولوجيا تحاول حلّ التناقضات الاجتماعية وتحاول الأسطورة حلّ التناقضات مع الطبيعة". القاسم المشترك بينهما هو أن كلّا من الأسطورة والأيديولوجيا ظواهر تشتغل في اللّاوعي.

الأيديولوجيا كشفرة:

كانت نماذج الشفرة وترميز المعنى في اللغة أدوات في المقاربات السيميائية للأيديولوجيا التي تركّز على الأيديولوجيات كنظم للمعايير والمعتقدات (Reboul, 1980, pp. 160–183).

على نقيض نظرية المعلومات، يصف أمبرتو إيكو (Umberto Eco) الأيديولوجيات على أنها شفرات تولّد رسائل ضمنية. وفقا لإيكو (1970, pp. 553-554)، فإن الأيديولوجيا تخلق رسالة "متصلّبة" والتي أصبحت علامة دالة على شفرة بلاغية. تتضمن هذه العلامة الدالة معنى معينا كوحدة دلالية للشفرة الأيديولوجية...[الذي] يمنعنا من رؤية الأنظمة الدلالية في مجمل علاقاتها المتبادلة (Eco, 1970, pp. 553-554) عن طريق قصر مجال الدلالات الضمنية المحتملة على تلك التي يحدّدها القانون الأيديولوجي وإخفاء جميع الدلالات الضمنية الأخرى. في وقت

لاحق ، يصف إيكو الأيديولوجيا كمثال على الترميز الزائد، أي عملية يتم فيها تعيين المعاني (الثانوية) للرسائل المولّدة بواسطة رمز أساسي (أولي) (Eco, 1976).

وبمعنى أكثر تقنية، كان نموذج نظرية المعلومات مصدر إلهام روسي لاندي (Rossi Landi) في تحليله السيميائي للأيديولوجيا. يستخدم (Rossi-Landi, 1972, p. 122) المصطلحات الأساسية لنظرية المعلومات، مثل التكرار والتحكم في الشفرة، لتحديد الأيديولوجيا كنوع معيّن من بث الرسائل: "الرسائل التي يمكن للجمهور فكّ تشفيرها على الفور وبسهولة". ويمكنهم تحديدها، أي تمثّلها باعتبارها الأيديولوجيا المسيطرة، هي تلك الرسائل التي يكون تكرارها كبيرا بما يكفي لقمع الضوضاء أو التدخّلات التي قد تشوّش على تلقّيها... الطبقة الحاكمة هي التي تتحكم في بث وتداول الرسائل اللفظية وغير اللفظية المؤسسة لمجتمع معين. إن الطبقة الحاكمة تضاعف من تكرار تلك الرسائل التي تدعّم موقفها.

يمكن العثور على أوجه التشابه مع رؤية إيكو للأيديولوجيا كمصدر للرسائل المشفرة بشكل متصلّب في سيميائيات مجموعة تل كيل (Tel Quel) من السبعينيات. الأيديولوجيا ،كما يلخص إيغلتون(Eagleton) (,1991 pp. 196-197)، وفقا لتل كيل (Tel Quel)، هي في الأساس مسألة "تثبيت" عملية الدلالة التي لا تنضب حول بعض الدوال المهيمنة، والتي يمكن للذات الفردية التماهي معها. اللغة نفسها منتج لانهائي؛ لكن هذه الإنتاجية المتواصلة يمكن إيقافها بشكل مصطنع داخل "حجز" - في عالم مقفل بالاستقرار الأيديولوجي، والذي يصد قوى اللغة التخريبية اللامركزية باسم وحدة وهمية. يتم تصنيف العلامات حسب نوع معين من العنف الخفي في نظام هرمي صارم... تتضمن عملية صياغة "التمثيلات" دائما هذا الوقف التعسفي لسلسلة الدلالة، مما يقيّد اللعب الحر للدال بمعنى محدد بشكل زائف يمكن للذات بعد ذلك تلقيه على أنه طبيعي وحتمي (Eagleton, 1991, pp. 196-197).

لا تتجلى الأيديولوجيا في رسائل وسائل الإعلام فقط ، ولكن أيضاً في شيفرة اللغة المستخدمة لتوليد هذه الرسائل. هذه هي الحجة التي تم الدفاع عنها في نطاق اشتغال السيميائية الاجتماعية للسانيات النقدية (Hodge & Kress, 1988, p. 81 ; Kress & Hodge, 1979).

يدعم كريس النظرية القائلة بأن الأيديولوجيا لا تنعكس فقط في لغة وسائل الإعلام أي في المعاني التي تنقلها الرسائل الشفهية، ولكن أيضا أن البنى الأيديولوجية مشفرة في النظام النحوي للغة.

يؤيد كريس (Kress, 1985, p. 7) الفرضية القائلة بأن "قواعد اللغة هي نظريتها للواقع". لا تكشف الدلالات المعجمية فحسب ، بل تكشف البنى النحوية للنصوص،أيضا، عن وجهات نظر أيديولوجية يجب إخفاؤها. الأشكال النحوية ، مثل المبني للمعلوم أو المبني للمجهول ،تنقل وجهات نظر أيديولوجية، وبالتالي هي علامات مؤشرة على أيديولوجيا ما (kress, 1985, p. 31).

أيديولوجية السيميائيات:

إذا كان "كل خطاب من نوع إيديولوجي"، كما يدّعي روسي لاندي (1968، صفحة 95)، فإن مسألة الأسس الأيديولوجية للخطاب السيميائي تنشأ كمشكلة ميتا سيميائية. أليس كل نظرية سيميائية، ومن ثم كل نظرية سيميائية للأيديولوجيا لها تأسيسها الأيديولوجي ، كما ناقش جوزيف وتايلور (1990) في اللسانيات؟

كانت إجابة روسي لاندي (1972، صفحة 9) على هذا السؤال هي أنه "من ناحية، فإن عقيدة الأيديولوجيات بدون السيميائيات غير قادرة على التعبير عن نفسها بشكل كاف ...من ناحية أخرى، تظل السيميائيات، بدون دعم من عقيدة الأيديولوجيات، مجالا متخصصا، دون أي صلة بالممارسة، على الرغم من ادعائها بأنها نظرية عامة للعلامات.

في حين أن العديد من السيميائيين يعترفون باستحالة الهروب من وجهة نظرهم الأيديولوجية ، فقد كانت هناك بعض المقترحات لإثبات كيف يمكن أن يكون "تحييد" التحيّز الأيديولوجي للسيميائيين ممكنا. يعترف فيرون، على سبيل المثال ، بأنه لا يمكن تحقيق نموذج المعرفة العلمية الخالصة والموضوعية، لكنه يدّعي أن المقاربة الأكاديمية قد تكون مع ذلك منهجية لتحييد المنظور الأيديولوجي المعطى. وفقا لفيرون (1971، صفحة 71)، تتشابه الأيديولوجيا مع العلم وتعارضه في الوقت نفسه: فالعلماء الذين يقدمون نتائج غير مؤكدة يتصرفون أيديولوجيا، على النقيض من ذلك ، فإن العلم ، على عكس الأيديولوجيا، يبذل "جهدا نحو تحييد الدلالات الضمنية من خلال جعل القرارات الضمنية صريحة".

كما أدركت كريستيفا (1975، صفحة 703) خطورة إهمال "مسألة الافتراضات المسبقة أو الأيديولوجية التي تسمح بتطبيق الصفة الرسمية [العلمية] وفي النهاية صحتها ومصداقيتها" في الوقت نفسه، تشير إلى أنه من خلال التحقيق في الأيديولوجيا، فإن السيميائيات "تهاجم نفسها عبر نفس المصفوفات التي تجعل عملية الإدراك ممكنة: العلامة، والموضوع، وموقعها الاجتماعي التاريخي". يكمن هروب كريستيفا من هذه المعضلة النظرية في افتراضها لوجهة نظر نقد ذاتية، والتي ستتساءل باستمرار عن افتراضاتها النظرية والأيديولوجية.

8.إحالات المقال:

1- Althusser, Louis (1975). For Marx, B. Brewster (trans.). New York: Pantheon.

2- Bakhtin, Mikhail M. ([1937–1938] 1981). The Dialogic Imagination, M. Holquist (ed.), C

3- Emerson and M. Holquist (trans.). Austin: University of Texas Press.

4- Bakhtin, Mikhail M. and Pavel N. Medvedev. ([1928] 1978). Formal'nyj metod v literatur- ovedenii. Leningrad: Priboi. [The Formal Method in Literary Scholarship. Eng. trans. by

A.G. Wehrle. Baltimore: Johns Hopkins Press.]

5- Barthes, Roland (1964). Rhétorique de l'image. Communications 4: 40–51. [Also in Barthes (1977). Image — Music — Text, S. Heath (trans.), 28–46. New York: Hill & Wang.]

6- Bernecker, Roland (1996). Die Rezeption der 'idéologie' in Italien. Münster: Nodus.

7- Busse, Winfried and Jürgen Trabant (eds.) (1986). Les idéologues: Sémiotique, théories et politiques linguistiques. Amsterdam: Benjamins.

8- Carontini, Enrico and Péraya, Daniel (1975). Le projet sémiotique. Paris: Delarge.

9- Choe, Hyondok (1997). Ideologie: Eine Geschichte der Entstehung des Begri¤s. Frankfurt/ Main: Lang.

10- Coward, Rosalind and Ellis, John (1977). Language and Materialism: Developments in Semiology and the Theory of the Subject. London: Routledge.

11- Dierse, U. and Romberg, R. (1976). Ideologie. In Historisches Wörterbuch der Philosophie, vols. 1–9 (1971–1996), J. Ritter and K. Gründer (eds.), vol. 4, 158–186. Basel: Schwabe

12- Dräxler, Hans-Dieter (1996). Die 'Idéologie' in Deutschland. Münster: Nodus.

13- Eagleton, Terry (1991). Ideology. London: Verso.

14- Eco, Umberto (1970). Codes and ideology. In Linguaggi nella società e nella tecnica, 545–557. Milan: Ed. Comunità.

15- (1976). A Theory of Semiotics. Bloomington: Indiana University Press.

16- Gardiner, Michael (1992). The Dialogics of Critique: M. M. Bakhtin and the Theory of Ide- ology. London: Routledge.

17- Geertz, Cliord (1973). The Interpretation of Cultures. New York: Basic Books

18- Greimas, Algirdas Julien and Courtés, Joseph (1979 and 1986). Sémiotique: Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 2 vols. Paris: Hachette.

19- Halsall, Albert W. and Rutland, Barry R. (eds.) (1988). Text and Ideology (=Centre Tadac Papers 1). Ottawa: Carleton University.

20- Heim, Robert (1983). Semiologie und historischer Materialismus. Cologne: Pahl-Rugenstein.

21- Hodge, Robert and Kress, Gunther (1988). Social Semiotics. Cambridge: Polity Press.

22- Joseph, John E. and Taylor, Talbot J. (eds.) (1990). Ideologies of Language. London: Rout- ledge.

23- Kerbrat-Orecchioni, Catherine (1977). La connotation. Lyon: Presses Universite.

24- Kress, Gunther (1985). Ideological structures in discourse. In Handbook of Discourse Anal- ysis, 4 vols., Teun A. van Dijk, (ed.), 27–42. London: Academic Press.

25- Kress, Gunther and Hodge, Robert (1979). Language as Ideology. London: Routledge.

26- Kristeva, Julia (1969). Shmeiwtikh: Recherches pour une sémanalyse. Paris: Seuil.

27- —([1975] 1985). Sémiologie. In Encyclopaedia universalis, vol. 16, 703–706

28- Larrain, Jorge (1980). The Concept of Ideology. Athens: University of Georgia Press. Marty,

29- Robert (1990). L'algèbre des signes: Essai de sémiotique scientifique d'après Charles S. Peirce. Amsterdam: Benjamins.

30- Morris, Pam (1994). A glossary of key terms. In The Bakhtin Reader, P. Morris (ed.), 245–252. London: Arnold.

31- Nadin, Mihai (1981). Zeichen und Wert. Tübingen: Narr.

32- Nattiez, Jean-Jacques (1973). Problèmes sémiologiques de l'analyse des idéologies. Socio- logie et sociétés 5 (2), 71–89

33- Nicholson, Jane A. (1986). The ideological function in semiosis. In Semiotics 1985, J. N. Deely (ed.), 382–389. Lanham: University Press of America.

34- Parsons, Talcott (1951). The Social System. London: Routledge and Kegan.

35- Plamenatz, John ([1970] 1971). Ideology. London: Macmillan.

36- Ponzio, Augusto (1993). Signs, Dialogue, and Ideology, S. Petrilli (trans. and ed.). Am- sterdam: Benjamins.

37- Prieto, Luis (1975). Pertinence et pratique. Paris: Minuit.

38- Rastier, François (1972). Idéologie et théorie des signes. The Hague: Mouton

39- Reboul, Olivier (1980). Langage et idéologie. Paris: Presses University de France.

40- Reis, Carlos (1993). Towards a Semiotics of Ideology. Berlin: Mouton de Gruyter.

41- Rossi-Landi, Ferruccio (1968). Il linguaggio come lavoro e come mercato. Milan: Bompiani

42- —(1972). Semiotica e ideologia. Milan: Bompiani.

43- —[(1982) 1990]. Marxism and Ideology, R. Griffin (trans.). Oxford: Clarendon.

44- Santaella, Lucia (1996). Produção de linguagem e ideologia, 2nd ed. São Paulo: Cortez.

45- Schiwy, Gü nther ([1969] 1984). Der französische Strukturalismus. Reinbek: Rowohlt.

46- Schlieben-Lange, Brigitte et al. (eds.) (1989, 1991, 1992, 1994). Europäische Sprachwissen- schaft um 1800: Methodologische und historiographische Beiträge zum Umkreis der 'idéo- logie', 4 vols. Mü nster: Nodus.

47- Silverman, Kaja (1983). The Subject of Semiotics. New York: Oxford University Press.

48- Thompson, John B. (1990). Ideology and Modern Culture. Stanford: University Press.

49- Verón, Eliseo (1971). Ideology and social sciences. Semiotica 3: 59–76.

50- —(1978). Sémiosis de l'idéologique et du pouvoir. Communications 28: 7–20.

51- Voloshinov, Valentin N. (Bakhtin, Mikhail) ([1930] 1973). Marxism and the Philosophy of Language, L. Matejka and I. R. Titunik (trans.). New York: Seminar Press.

52- Zima, Peter V. (ed.) (1977). Textsemiotik als Ideologiekritik. Frankfurt/Main: Suhrkamp.

53- —(ed.) (1981a). Semiotics and Dialectics. Amsterdam: Benjamins.

54- —(1981b). Semiotics, dialectics, and critical theory. In Semiotics and Dialectics, Zima (ed.).

55- 3–36. Amsterdam: Benjamins.

56- —(1989). Ideologie und Theorie. Tu ̈bingen: Francke.

9. المراجع المستعان بها في الترجمة:

الموسوي، أنور غني. (2020). *التعبير الأدبي: مقالات في نظرية الأدب* (ج1). العراق: دار أقواس.

[Anwar Ghanī al-Mūsawī, *al-ta'bīr al-Adabī : maqālāt fī Naẓarīyat al-adab*, j1, Dār Aqwās, al-'Irāq, D. Ṭ, 2020]

بن مالك، رشيد. (2000). *قاموس مصطلحات التحليل السيميائي*. الجزائر: دار الحكمة.

[Rashīd ibn Mālik, *Qāmūs muṣṭalaḥāt al-Taḥlīl al-sīmiyā'ī*, Dār al-Ḥikmah, al-Jazā'ir, D. Ṭ, 2000]

شيباني، عبد القادر فهيم. (2010). *السيميائيات العامة: أسسها ومفاهيمها* (ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.

['Abd al-Qādir Fahīm Shaybānī, *al-sīmiyā'īyāt al-'Āmmah : ususuhā wa mafāhīmuhā*, Manshūrāt al-Ikhtilāf, al-Jazā'ir, Ṭ1, 2010]

Nöth, W. (2004). Semiotics of ideology. *Semiotica, 148*(1/4), pp.11-21.

www.dictionary.com